مستقبل المسرح ومفاهيم الدولة العراقية

استطلاع - كاظم النصار

الدستور مهم والاهم منه الفهم العملي والواقعي من مطيعي هذا الدستور.

اما الفنان عزيز عبد الصاحب - كاتب وممثل فقال: لا خوف على المسرح بوجود الحرية وغياب الرقيب الا من ضمير الفنان نفسه وان المستقبل لآت وتباشيره واضحة في ان الحرية هي زاد المسرح فحين تكون حراً يعني ان تتجانس مع مخيلتك وتتطابق مع نفسك .

ان أعمالاً مسرحية عظيمة تنتظرنا عالمية وعربية ومحلية شرط ان تتجانس (الإنتاجية) مع الاختيار وان لا يكون الإنتاج شحيحاً او ترقيعياً او فقيراً وشرط ان نبتعد عن (التابو) والرؤية الضيقة بعيداً عن الكهوف وشطط التعصب او النظرة الإيديولوجية الضيقة.

د. حسين علي هارف- استاذ جامعي وناقد قال: الفنان المسرحي لا يمكن الا ان يكون مع الديمقراطية والتعددية السياسية واحترام الحريات كيف لا وهو ينتمي الى فن أسس للديمقراطية ودعا اليها منذ اسس على يد الإغريق فالمسرح فن ديمقراطي شكلاً ومضموناً ولكن وهنا يكمن السؤال: هل ينبغي ان يكون ميدان المسرح منبراً للطروحات السياسية والدعائية والترويج لها- لا- فالمسرح معني بما هو فلسفي رحب لابما هو إيديولوجي ضيق ومقولب: من هنا سيكون مسرح المستقبل عندنا مرهوناً بمدى حياديته الايجابية وليست السلبية في عدم الانجرار وراء التحزبات والطروحات الايديولوجية والاضرابات السياسية من دون ان يقفز فوق الواقع الاجتماعي والفكري للبلد.

ان فن المسرح ينبغي ان يترفع على (المشكلات) السياسية الظرفية الزائلة ليهتم بمشكلات بل إشكاليات النفس الإنسانية البشرية (الروحية والكونية) وهي اشكالات اعم واشمل وأكثر عمقاً.

من جانب آخر فان التوجه الفكري لسياسة الدولة (القادم) لن يسمح لنفسه ان يمارس وصاية رسمية رقابية وإيديولوجية دعائية على المسرح العراقي لان ذلك سيعني اعطاء شهادة وفاة للمسرح بل هو سيخلق الجو الملائم والصحي لكي يتنفس المسرح هواءً لا ملوثاً بالغبار والاتربة التي من شأنها ان تخنقه .

من جانبه قال المخرج احمد حسن موسى:-

ان هذه المفردات لابد من قطفها اولاً مع ايماني بان المسرح حاضنة ساحرة لكل هذه المفاهيم. المسرح حينما يحل في أية بقعة في العالم فانه سيثمر المزيد منها لا العكس واقصد بذلك ان المسرح هو البيئة الخصبة لولادة افراد مؤمنين بهذه الافكار والمفاهيم النبيلة .

الدكتور جواد الزيدي- مدرس في كلية الفنون الجميلة- ناقد وباحث ومصمم ديكور مسرحي قال:

اعتقد ان المسرح لا ينفصل عن خطاب الثقافة العام على الرغم من اشتغالاته المتفردة وبذا استطاع ان يفلت في جانب كبير من توصلاته الجمالية من رقابة السلطة السياسية او فكر الدولة، وعن قراءة مسرح المستقبل قال: اعتقد ان الاعتماد على مبدأ الحرية والتعبير عن الافكار والصيغ الفنية على مستوى الشكل خصوصاً نحن نقف في متن الشكلية بوصفها وجوداً كلياً وظاهرة، اعتقد ان العودة الى التعبيرية والمباشرة في تبين الأفكار واعتماد النخبة في إنتاج الخطاب المسرحي امر لافراغ منه بعد سيادة الغموض والتشفير في العرض المسرحي في الفترة السابقة وبالتالي يستطيع المسرح تبني مفاهيم الواقع بما يتلاقح مع التعددية الفكرية خارج حدود الرقابة في الولاء لهذه المفاهيم من قبل منتجي الخطاب الجمالي المسرحي.

الشاعر والباحث نصير عزيز- طالب دكتوراه في منطق اللغة/ جامعة بغداد قال: ان فكر الدولة قائم على هذه المفاهيم بالحدود الورقية للفكر ولا بد لهذه المفاهيم من ان يتكامل نموها في داخل الاعمدة المؤسسة لادارة الدولة. والفترة التي رافقت التغيير لا تكفي لاعداد مجتمعات مؤسسة لاحتواء المبادئ الاساسية للديمقراطية فكيف يتكامل نموها؟

والمسرح في نظري يرتبط بحراك القيمة الثقافية داخل المجتمعات البرجوازية التي تم القضاء عليها خلال الأربعين سنة الماضية فقد حطم النظام الشمولي ذو النزعة القبلية بنية المجتمع البرجوازي العراقي الذي بدأت تتحد ملامحه مع نشوء الدولة العراقية عام ١٩٢١ والمسرح من جهة ثانية عمل فني مقرون بالقدرة الفردية لدى المبدع واولهما قدرته على استيعاب مواطن القوة لديه لتحريك المسرح باتجاه مديات ابداعية فاعلة ومؤثرة.

عروض لأسراب مهاجرة

أ.د عقيل مهدي يوسف

شهدت مسارحنا العراقية عروضاً متنوعة جاء بعضها من خارج العراق، لفنانين ملتزمين، وهم على دراية بفنون الدراما والمسرح لكنهم كانوا بحاجة الى مخاطبة الجمهور العراقي الذي تبدلت أحواله عما كانوا قد خبروه عنه قبل سفرهم الى الخارج.

طرحت مشاريعهم، وتبنتها وزارة الثقافة، وكان المسرحي قبل غيره متحمساً لانه يرى لدى اخيه من جديد ومبتكر في طرائق تقديم العرض، وبناء عناصره وانساقه وشحنه بالدلالات، وحين شاهدنا ما شهدناه من عروض، وقرأنا ما كتب من نقد مسرحي وانطباعات صحفية، أحسسنا بنوع من اللبس، وسوء الفهم، فالبعض انجر من دون قصد الى تهميش الاخر، او نبذه، والتعالي عليه، وكأنه وافد خطر بهدد مجاله الحيوي!! ويريد أقامة امارته الجديدة فوق تخوم ارضه الخاصة!! وأملاكه الموروثة! ولكن في الجانب الاخر، وجد البعض من المسرحيين ان في هذا الترافد نوعاً من الحوار، وضرباً من الخطاب الجمالي، الذي يبقى في جوهره مقترحاً فنياً قابلاً للتحليل والتفكيك، بل قابلاً حتى للنقض، والإيحاء بالبديل.

وكثير من المسرحيين يعتقدون بان العرض المسرحي، يبقى مفتوحاً لمثل هذه التساؤلات والمطارحات من دون منة من احد وبلا تفوقات كاذبة موهومة، فالموهبة هي الأصل، والفكر الإبداعي يفرز نفسه عن سواه بامتلاكه ادواته الفنية المتماسكة وقدرته على تحريك مخيلة جمهوره، وهندسة ذائقته الوجدانية.

ودهمت فضاءات المسرح حركة الأجساد الحرة، المنفلتة من الدائرة المنطقية والإجرائية والذرائعية اليومية، رغبة منها في تحقيق ارتجالات راقصة، موقعة ، متسامية على اليومي ويبقى الامر جمالياً في حدود المعقول، بعد ان سئمنا من الحركة النثرية الرتيبة، الخانقة، لعادات الجسد (الطبيعي) اللصيق بعيوبه، وتقاليده النمطية.

وتشتق مع حركة الأجساد، اشكال (كوريوغراقية) راقصة في فضاء العرض، المتولد، والمتحول، الى مناخات جديدة ترسمها الأذرع، والسيقان، والاكف، وتعبيرات الوجوه، وهي تمتح من معين (فن النحت) احياناً بهذه الحجوم، القادرة على تنويع إشكالها المتحركة، بلعبة ثنائية تشتمل على السكون- الحركة، التوسع- التقليص، التضخيم - التبسيط، الاقتراب- الابتعاد، العلو- الهبوط..

ونراها في احيان اخرى، تفيد من فنون الرسم، والسينما، والموسيقى والمعمار، تبعاً تقتفيه من معالجات أسلوبية واضحة الاتجاه، ومتأثرة بهذا الحد او ذاك بتجارب بيتر بروك وجروتوفسكي، وشاينه، وموريس فيجار، او بما حققه بارو ومارسو وفيلي وسواهم من الاشتغال على الايماء، والتمثيل الصامت، او الرقص المسرحي الحديث. ولكن، امام هذا الحماس الجمالي، لهذا الضرب من فنون العصر، يبقى ثمة من يصر على توسيع معالجات العرض المسرحي، بان يعيد الى الذاكرة الجمعية للمتفرجين نصوصاً إبداعية مسرحية وروائية وملحمية وشعرية، معاداً تركيبها مسرحياً وفق حساسية راهنة، ورؤية فنية (حداثوية) منفتحة، وكأنها تعيد مقولة سانت اكسز وبري، عن حزنه الشديد على أبناء الشرق الذين قتل فيهم شكسبير، وموزارت، وكبار المبدعين، لأنهم ببساطة لم يعرفوهم، فهل يرضى المسرحيون العراقيون ان تبقى نصوص خالدة للمبدعين الكبار من عرب وأجانب بلا أدنى فرصة لتقديمها الى جمهورهم؟

مسرحية بفصل واحد

صنارة في ماء

عباس منعثر

رجل على حافة نهر.. يصطاد

أول: سمك ياسمك. صوتي عال، سيهرب. سمك ياسمك. أين انت الآن؟ تحت، وانا فوق. لا أستطيع ان انزل تحت، ولا ان تصعد فوق. ليس مهما. المهم ان يبقى كل منا حيث هو. اعلم انك لا تسمع، فالاسماك بلا اذان. ولا تفهم ليس مهماً المهم ان اتكلم. مع من اتكلم غيرك؟ ليس لي سواك كلهم ذهبوا الى حيث لا عودة إلاي. هل تذهب انت ايضاً؟ الى أين؟ قدرك، كقدري: ان ترغم على استنشاق الهواء انا سمكة ايضاً يأكلني الاخرون تأكلك الاخرى الاكبر ؟ها انا اوفر لك طعامك، تقترب من الصنارة الان، تراها وبحذر تأكل العجينة تسخر مني وتهرب هم يسخرون مني أيضاً يصيحون خلفي بكلمات لا افهمها.. هؤلاء الاوغاد يسببون الجنون للعاقل، فكيف بي؟ أكيد ان السمكة تنادي السمكة كي يسخروا جميعاً. الضحك مع الجماعة اقوى وأكثر غبطة. أكثر غبطة او تصنعاً اضحك وانا اضحك لكن القلب لا يسر إيه، كنت في السابق لا أكاد ارفع الصنارة حتى اقذف بها ثانية، أصيد مئة، مئة ماذا، الف، بل مليون سمكة، والان لا ذيل يلبط، ولا عيون دهنية أرى، ولا فم سمكة يفتح يغلق في صراع مأساوي مع الهواء.

(يدخل ثان)

ثان: الرجل نفسه في المكان نفسه..

أول: اهلا بالللدود.

ثان: كالعادة، سلتك خاوية.

أول: اصطدت عشر سمكات، خمس بحجم رأسك اعطيتها لذاك الصغير، وخمس صغيرات بعد اعدتها الى الماء.

ثان: هيلا هب، هيا يا صنارة.

أول: آه، ليست كبيرة.

ثان: تنفع على كل حال (يضعها في السلة) هيلا هب.

أول: (يخرج صنارته ويعيدها).

ثان: (ممسكا السمكة) اكبر من الاولى قليلاً.

أول: هل طردوك من البيت ايضاً؟

ثان: الشارع ارحم..

أول: تبدو حزينا.

ثان: قل ميتا. بيتنا كله برجاله ونسائه دائخ يترنح، الغرباء الذين يدخلون وقهقهات النساء والرائحة القوية والسهر حتى الصباح في قلب اليوم تعاد نسخة اليوم الفائت.

أول: ما هذا ؟ اترى ما ارى؟

ثان: أرى ان الجو غانم.

اول: لا هناك، في العمق.

ثان: نظري ضعيف، ونظارتي كسرت. كسرها ابن اخي الصغير الوقح.

اول: اهي بقرة؟ ام قطعة جلد مرقعة؟

ثان : من دون نظارتي لا ارى من العالم الا الضباب.

اول: بل بقرة، مسكينة تطفو على سطح الماء.

ثان: ويل صاحبها.

أول: هذه هي خاتمة الأكل والتغوط ترى أتحس بالبرد؟

ثان: الميت عديم الإحساس. لذا يقال لعديم الإحساس: ياميت.

أول: من أين جاءت؟

ثان: من الجنوب. حسب الريح. هيلا هب.

اول: لن تصل، حتى لو اصطدت تسع سمكات، الى عشر كما فعلت.

ثان: يكفيني ما حصلت عليه.

أول: أتساءل احيانا ما الذي يحدث تحت.. مثلما يحدث فوق؟ سمك محظوظ بغباء يأكل العجينة من دون ان تغرز الصنارة في فمه، سمك ذكي يعرف متى ينقض على العجينة: بليونة وخفة، اضرب واهرب، سمك صغير تلتهمه الفكوك الكبيرة، سمك منعزل تكفيه أية قطعة، لابد للمرء من الف حياة كي يفهم الحياة.

ثان: لا يكفي ان تفهم بل ان تعيش. خذ أبي مثلاً صار عمره تسعين سنة الان، ومازال حريصاً على الدنيا يعيش لحظة بلحظة بكى،الناس بكى ضحك الناس ضحك، صفقوا صفق مشوا مشي توقفوا توقف، لا يفكر كثيراً ولا يتعب مخه ابدا، حكمته حشر مع الناس عيد ، اذا وجد الطعام افترسه اذا نعس شخر من كل فتحاته، اما اذا رأى جسداً طرياً فتذكر الخنزير، هب، اصطدت واحدة جديدة. ما الذي تتأمله في السماء؟

أول: في ما قبل الغروب سحر، لقاء بين غياب النور وحضور الظلام. اعشقه اتمدد هكذا على العشب، رجلاي تغطسان في الماء.. يخرج الاختناق من صدري. تتراخى اطرافي.

ثان: سيهرب السمك توقف.

أول: وعيناي مملوءتان بالزرقة. هل اصطدت شيئاً؟

ثان: مادام صوتك يرعد، ورجلاك تخبطان الماء بالطين فلن تظل في النهر سمكة واحدة.

أول: لا تركض وراء سراب، دع السمك يأتي ولا تذهب اليه.

ثان: بهذه الحكمة، وبقولك: (تف) على كل شيء، سيمر عليك الزمن وان كالشجرة الوحيدة تلك. لااغصان لا اوراق، عصافير تذرق فقط، خذ حكمة أبي: اشغل أي كرسي فارغ، ادق أي باب عل واحداً يفتح ، ارقص في أي عرس ومن كل هذه الحركة قد تنال ما لاتحلم به، اما ان تقعد وتنتظر وتتآمل وتتساءل، فهل افاد ذلك أهل القبور؟ هل منعوا الموت من دق الباب؟ لا ، طبعاً.

أول: احب الماء. لذتي الوحيدة ان اجلس على الجرف، وحيداً ارى وجهي يتكسر في الماء: وجه اسمر، شارب كخيط نمل، عينان صغيرتان غاطستان، انف مفروش. وجه ضبابي، مائي شفاف، اكاد ارى ما بداخله تشطره احياناً سمكة صغيرة حرة. آه لو ذقت هذا الشعور. يكفي ان تنهي حياء انسان حين يصل ذروة اللذة هذه.

ثان: يقولون عنك دائم الاكتئاب. من الدراسة الى الشارع، من أرقى حياة الى التسكع، من الاملاك الى كوخ في الخلاء لاتتكلم تصمت وتحدق لكنك على الشاطئ كائن مختلف.

أول: الماء وحده يفهمني، يصغي الي ويكلمني.

ثان: مجنون ماء يعني ماء لا أكثر. سمك يعني لحم ابيض يشوى او يفرقع في الدهن. بصل وطماطم وخبز، لا أرى في الامر شيئاً غير عادي.

أول: لأنك ترى بعينيك.

ثان: وهل تراها بأنفك؟

أول: أراها بقلبي. أتدري ان عدد الكلمات التي قلتها للآخرين، منذ مات أبي لم يتجاوز مئة كلمة. مثل نعم، لا، شكراً تفضل.. بينما ، حفظ النهر، حفظ السمك، حفظت هذه التعريشة من الماء والدغل والقصب قصة حياتي. سمك يرويها لسمك، اجيال تكتب صوتي بالماء على الماء. لذلك اعيد السمك الصغير حتى يحفظ صوتي. والبقية اعطيها الى الصغير الذي يلعب هناك.

ثان: أي صغير . نحن وحدنا هنا!

أول: نظرك ضعيف ونظارتك مكسورتان.

ثان: أنت على حق . كيف تعيش وسط عائلة فيها أربعون فماً يصرخ، بيت إيجار، نساء ثرثارات، مصائب تتلوا مصائب.. الكبير لايحب الصغير والصغير يكره الكبير .. لا احساس بالامان او الالفة.. حياة صاخبة، تند منها العفونة.. لا حدود لا اسرار.. الحيطان حتى عارية كالبشر.. لذلك اهرب الى هنا.

اول: كم سمكة صار عندك؟

ثان: وصلت الى تسع .

أول: أمس قال لي اخي: أين كنت منذ شهر؟ قلت قرب النهر، هل مضى شهر؟ جمال، حاذر، الحياة غير أمينة، بل أمينة أنت مصاب بالفصام! انا مصاب بالوحدة، يكفي الماء. الى متى جنونك هذا ؟ الى ان اذهب. نم عسى ان تبقى لا يعرفون، لا يدركون أية لذة أية نشوة ان يذهب جمال ولا يعود.

ثان: انظر بعينيك الصغيرتين ما الذي هناك بين الخشب هناك.

اول: جذع نخلة.

ثان: حسبته شيئاً آخر.

أول: بل هو قميص على ما أظن.

ثان: اسود.

اول: جذع عليه كيس اسود، او قطعة قماش.

ثان: حسبته غريقاً.

أول: ذكرتني بماجد.

ثان: ارتاح وأراح.

أول : لم يكن يتكلم كثيراً.

ثان: كانوا يربطونه بسلسلة الى الباب.رأيته مرة كثور يخور، فمه يتصبب ماء، والسلسلة حول رقبته، يخافون منه او عليه.

أول: لا يضحك. أحب السمك ايضاً.

ثان: مجنون اخر.

أول: كنت اجلس هنا في المكان نفسه. في اللحظة نفسها، وفي الشعور نفسه، كائن غريب يبحث عن غريب يسليه وجاءت المسكينة عند الغروب صديقي وكانت تأتي.

ثان: هيلا هب، وصلنا عشر.

أول: تقف على حافة النهر، قبالتي كنت اتساءل متى تقذف نفسها الى الماء؟ وانتظر كانت الصنارة تصطاد الكثير من السمك اكثر مما تصطاده انت في شهر. ولم أكن ادري. تمتلئ السلة، ولم أكن ادري كنت اراقبها فقط.

ثان: أمه.

اول: ترتدي السواد... هل السواد يعني الحزن ؟

ثان: أكيد. الاسود حزن، الاحمر جنس، الأصفر غيره، الأبيض فرح، الأزرق غموض، والأخضر امل، هل تنتظر من امرأة فقدت عمرها في العويل على ما فقدته ان تلبس البرتقالي؟

اول: كانت تقف على حافة النهر. مازال وقع دموعها في الماء يرن في اذني تفتح ازرارها تخرج ثدييها للنهر، تنحب منادية ماجد، يا ماجد، ياماجد، أكان يسمع؟ كان السمك ينقل انينها اليه؟ يقال ا ن الام تجبر ابنها الغريق على ان يطفو.

ثان: وصلت ١٢، غلبتك.

اول: اتصور نفسي مكانه، وامي، التي ماتت، تقف هناك في المكان نفسه في الزمان نفسه منادية: جمال يا جمال، تفتح أزرارها، تخرج ثدييها للنهر، يا ماجد..

ثان: أمازالت تعتقد انه جذع؟

أول: هه، بل جثة.

ثان : تأكد.

أول: جثة رجل ، أرى كتفه، أرى انحناءة جذعه. رجل مات فطفا.

ثان: سأجلبها.

أول: الماء بارد .. والهواء.

ثان: لا عليك.

اول: هل هو ماجد مقطوع الاذن.. حذار .. انك ضعيف، والماء يركض تشبث بالخشب، بجذع الجسر. نعم هل هي جثة؟

ثان: نعم، اظنه ماجد.

أول: امسك جيداً. انها تفلت منك.

ثان: لديك حبل؟

أول: لا اسحبه. علي الكلام وعليك الفعل.

ثان: آه، ثقيل.

(يرفعان الجثة)

أول: بعض اجزائه مقضومة انف مقضوم، فم مقضوم، آه يده مأكولة تماماً.

ثان: هذا فعل سمك الذي تحلم به .

أول: في رأسه شج عميق ودم متيبس على جبينه، أذنه الاخرى مقضومة ايضا.

ثان: ما تفعل ؟

أول: انه يبتسم.

ثان: ميت . الميت لا يبتسم.

ول: بل يفعل.

ثان: آخر كلمة قالها لامه: قلبي يعتصر. كان سيحضر الجبن، لكنه لم يعد .

اول: قلبي يعتصر.. اكل من قلبه يعتصر يفعل هذا؟

ثان: من يدري قد تكون نهايتنا جميعاً جثة في ماء.

اول: صنارتك.

ثان: (يركض ويسحب الصنارة) ١٥ سمكة.

اول: بيننا جثة وما زلنا نهتم بصنارة.

ثان: اعتدنا على الموت. اذكر كيف نتناول الغداء بينما جثة اخي في الغرفة الخلفية .

أول: اود لو ابكي.

ثان: سأخبر ، أهله (يغادر).

اول: اخبرهم. قل لهم ان عددهم نقص واحداً وهناك من يموت الان في هذا العالم، من دون ان يدري به احد من دون ان يهتم (للجثة) ما سرك؟ كيف فعلتها. كيف شعورك؟ كل منا يعتقد انه الكون لا يدري الا ما يدور في داخله، يعيش الحياة وكأنه هو الحياة. ذهبت من دون اثر يا صديقي، من دون صوت قلت في حياتك جملة واحدة: قلبي يعتصر. مم اعتصر؟ أكان ممكناً الا يعتصر قلبك؟

الناس تعيش حياتها تعصرها حتى آخر قطرة وانت قلبك يعتصر.. هل ناداك السمك، وظننت نفسك بحراشف وزعانف؟ كيف كانت تلك اللحظة حينما صار الهواء عزيزاً عليك؟ واية فكرة حفزتك على القفز الى النهر وانت الذي يغرق في شبر ماء. انت صندوق مقفل، مفتاحه مرمي في محيط قلت لي ذات مرة: قلبي يعتصر كان ذلك قبل عشر سنوات، وظل قلبك يعتصر ويعتصر. هل كان يعتصر ام كنت تتمنى؟ لم افهم حينها كيف يعتصر القلب، ولم أسأل لكنني حين رأيت امك على الشاطئ تفتح الازرار، وعيناها وردية غامقة، وشهقتها بالكاد تجد الهواء، عرفت كيف يعتصر القلب. وحينما تكلس شيء ما في قلبي عرفت كيف يعتصر القلب.. انظر اول مرة في حياتي، صنارتي تتحرك. لم اصطد ولا حتى خرقة قديمة، اجلس كذباً هنا كصياد سمك. اوهم نفسي إنني صياد ماهر.. هل اسحبها؟ ام اترك ذلك الكائن الذي اجهله يلتهم ويذهب؟ اجاءت السمكة للحاق بك؟ سمعت وشوشة عن عشق السمك لك. اسحب ام لا يبدو انها كبيرة. تناضل لتتحرر.

تتشبث بآخر لحظة ماء، كما تشبثت انت بآخر لحظة هواء، قبل ان تلقي بنفسك الى الماء. كفت عن الحركة، هل علقت واستكانت ام ماتت؟ ام هربت ؟ (يرفع الصنارة من دون طعم) هذه آخر مرة لي هنا، آخر مرة. المرة الاخيرة لي هنا. اتعلم لماذا؟ ماجد أتعلم لماذا ؟ (يقف) لان قلبي يعتصر. (ختام)